

﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ۝٥٤﴾

[فصلت: 54]

❖ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

بعد أن بيّنت السورة الكريمة أحوال الكفار المعاندين، وذكرت إلحادهم في آيات رب العالمين، وتشككهم فيما جاءهم به الرسول الأمين؛ ناسب أن تُبين هذه الآية "أن أحوالهم المذكورة فيها ناشئة عن إنكارهم البعث، فكانوا في مَأْمَنٍ مِنَ التَّفَكِيرِ فيما بعد هذه الحياة، فأنحصرت مساعيهم في تدبير الحياة الدنيا، وانكبوا على ما يعود عليهم بالنفع فيها"⁽¹⁾.

بيان السبب
فيما ذكرته
السورة من
أحوال المشركين
المعاندين

❖ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿مِرْيَةٍ﴾: (مري) أصلان صحيحان يدل أحدهما على مَسَحِ شَيْءٍ واستِدْرَارٍ، والآخر على صِلَابَةٍ فِي شَيْءٍ⁽²⁾، ومعناه المحوري: مائع أو رقيق غزير مُحْتَوَى، يُسْتَخْرَجُ بِحِيلَةٍ لِلِاسْتِخْرَاجِ، مَسَحٍ أو نحوه، ومنه المِرْيَةُ بالكسر والضّم: الشكُّ والجدال، من احتواء الباطن على رقة ورخاوة، وهو ضعفٌ وَعَدَمٌ تَمَيُّزٍ حَدُودٍ، وامترى فيه: شكٌ، وكذلك: تمارى، قال تعالى: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ﴾ [هود: 109]، وقال أيضاً: ﴿بَلْ جِئْتَنكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ [الحجر: 63]⁽³⁾.

(2) ﴿مُحِيطٌ﴾: (حوط) كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ، وهو: الشَّيْءُ يُطِيفُ بِالشَّيْءِ، فالحوط من حاطه حوطاً⁽⁴⁾، ومنه: حوَّط على الشَّيْءِ، وحيَّط عليه: أقام عليه حائطاً، قال تعالى: ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: 25].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21 / 25.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (مري).

(3) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي، والفيزيائي، القاموس المحيط: (مري).

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حوط).

[29]، والإحاطة بالشّيء استُعْمِلَتْ كنايةً عن العِلْمِ بالشّيء من جميع جوانبه، وعن حفظه، وعن التَّمَكُّن منه والقدرة عليه وإهلاكه، يُقال: حاطه: حفظه، وتعهّده، ويُقال أحاط بالأمر: أحدق به من كلّ جوانبه حفظاً أو علماً أو تمكُّناً وقدرةً، قال تعالى: ﴿أَحْطَنَّا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ (الكهف: 91)، وقال أيضاً: ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ (البروج: 20) [1].

✽ الْمَعْنَى الإِجْمَالِيَّةُ:

أعمال تُخْصَى وعقاب آتٍ

تنبّه الآية الكريمة إلى أَنَّ القَوْمَ في شَكٍّ عظيم وشُبْهَةٍ شديدةٍ مِنَ البَعْثِ والقيامةِ، وأنَّ ذلك هو السَّبَب الذي جعلهم يلحدون في آياتِ الله، ويكذبون رسوله المَكْرَم ﷺ، وَمِنْ ثَمَّ يتوعّدهم الله تعالى بإحصاء أعمالهم ومعاقبتهم عليها العقاب اللائق المُسْتَحَقَّ في الدُّنْيَا والآخرة (2).

✽ الإِيضاحُ اللَّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

سرُّ التَّعْبِيرِ بـ: ﴿أَلَا﴾:

التَّنْبِيهُ لما تتضمَّنُه الآيةُ الكريمةُ من حقائقٍ وتحذيراتٍ

﴿أَلَا﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ حرف استفتاح، عبّر به النُّظْمُ في مفتح الآية التي تُعدُّ تذييلاً للسورة الكريمة، لتنبية المتلقّين وجذب انتباههم لما تتضمَّنُه الآية بجملتيها الأولى والثانية (3) من حقائقٍ وتحذيراتٍ.

بلاغةُ التَّوكِيدِ في الجملة:

استدعاءُ النَّظَرِ لما يحويه الكلام من المعاني والجزئيات

جاء قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ مؤكِّداً بيانَ الجملة الاسميّة، مَعَ أَنَّ المُخَاطَبَ بِهِ لَا يَشْكُ في ذَلِكَ؛ لِقَصْدِ الاهتمام واستدعاءِ النَّظَرِ لاستِخراجِ ما يحويه مِنَ المعاني والجزئيات (4).

(1) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (حوط).

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27 / 574.

(3) ابن عطية، للحرر الوجيز: 24 / 5، وأبو حيان، البحر المحيط: 317 / 9، وابن عاشور، التحرير والتنوير:

21 / 25.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21 / 25.

الدالة على أَنَّ الكفَّار في شكٍّ دائمٍ مِن لقاء الله، وإنكارٍ شديدٍ للبعثِ والحسابِ.

مرجعُ الضمير في «إِنَّهُمْ» ودلالته:

الضمير المنصوب في: «إِنَّهُمْ» راجعٌ إلى الكفار، كما عاد إليهم الضمير المنصوب في جملة: «سَأُرِيهِمْ»، والمعنى: إِنَّ هؤلاء الكفار - المكذِّبين ما جئت به - في شكٍّ دائمٍ وإنكارٍ مستمرٍّ للقاء الله والرجعى إليه.

معنى «في»:

التعبيرُ بالحرفِ المفيد للظرفية في قوله: «في مَرَّةٍ» دالٌّ على تمكُّن الشكِّ مِنَ الكفار وتغلُّغه في نفوسهم، وإحاطته بهم كما يحيط الظرفُ بالمظروف⁽¹⁾.

نكتة التعبير بلفظ «مَرَّةٍ» نكرة:

أوثر التعبيرُ بالمجرور: «مَرَّةٍ» نكرةً مُنَوَّنًا؛ لما يفيدُه التَّكثير والتَّنوِين مِنَ التَّعْظِيمِ والتَّفْخِيمِ معنًى وجرسًا، والمعنى: إِنَّ القَوْمَ في شكٍّ عَظِيمٍ لا يُقَادِرُ قَدْرَهُ، وشُبْهَةٌ شَدِيدَةٌ لا تَقِي العِبَارَةَ بوصفها مِنَ البَعْثِ والْقِيَامَةِ⁽²⁾.

نوعُ المجازِ وبلاغته في قوله: «في مَرَّةٍ»:

التَّعبيرُ بلفظ «مَرَّةٍ» مجرورًا بحرفِ الظرفية فيه استعارة مكنية، شُبَّه فيها الشكُّ والجدال بحفرة عميقة، ألقى الكفار بأنفسهم في أعماقها، وصاروا لا يستطيعون الخروج منها، ثم حُذِفَ المشبَّه به، ورُمِزَ إليه بشيءٍ مِنْ لوازمِهِ، وهو الظرفية، على سبيل الاستعارة المكنية التي تُبرز عمق شكِّ المشركين في لقاء الله، وبلوغهم في التَّكْذِيبِ بقضية البعث والحساب والجزاء مبلغًا كبيرًا.

مَنْ يُكَذِّبُ
الرَّسُولَ فِيمَا
جَاءَ بِهِ يَشْكُ
فِي لِقَاءِ اللَّهِ
وَالرَّجْعَى إِلَيْهِ

الشَّكُّ فِي لِقَاءِ
اللَّهِ يُحِيطُ
بِالْكَافِرِينَ
إِحَاطَةُ الظَّرْفِ
بِالْمَظْرُوفِ

شَكُّ الْكَافِرِينَ
فِي لِقَاءِ اللَّهِ لَا
يُقَادِرُ قَدْرَهُ، وَلَا
تَقِي بِهِ الْعِبَارَةُ

تصوِيرُ الشَّكِّ
عَلَى أَنَّهُ حُفْرَةٌ
عَمِيقَةٌ أُلْقِيَ
الْكَافِرُ فِيهَا
بأنفسهم

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21 / 25.

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27 / 574، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8 / 20.

معنى ﴿مِنْ﴾:

بيان ما يمتري
فيه الكفار
ويشكون

﴿مِنْ﴾ في قوله تعالى: ﴿مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ هي البَيَانِيَّةُ الَّتِي تَوْضَحُ ما يشكُّ فيه الكافرون، وتبين ما ينكرون إنكاراً شديداً، ويُمَارُون، وما يقف وراء إلحادهم في آيات الله وتكذيب الرُّسول فيما جاءهم به، ويرى ابنُ عاشور أنَّها: ابْتِدَائِيَّةٌ، تَعْدِي بِهَا فِعْلُ الشَّكِّ إِلَى الأمرِ المشكوك فيه، بِتَنْزِيلِ مُتَعَلِّقِ الفِعْلِ مَنْزِلَةً مَثَارِ الفِعْلِ بِتَشْبِيهِ المَفْعُولِ بِالْمُنْشَأِ، كَأَنَّ الشَّكَّ جَاءَ مِنْ مَكَانٍ هُوَ الْمَشْكُوكُ فِيهِ، وَفِي تَعْلِيْقِهِ بِذَاتِ الشَّيْءِ مَعَ أَنَّ الشَّكَّ إِنَّمَا يَتَعَلَّقُ بِالْأَحْكَامِ مُبَالَغَةً عَلَى طَرِيقَةِ إِسْنَادِ الْأُمُورِ إِلَى الْأَعْيَانِ، وَالْمُرَادُ أَوْصَافُهَا، فَتَقْدِيرُ ﴿فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾: فِي مِرْيَةٍ مِنْ وَقُوعِ لِقَاءِ رَبِّهِمْ وَعَدَمِ وَقُوعِهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقرة: 23]، أَي: فِي رَيْبٍ مِنْ كَوْنِهِ مُنْزَلاً⁽¹⁾.

وجه التعبير بالصدر: ﴿لِقَاءِ﴾:

التَّعْبِيرُ عَنِ الْبُعْثِ الَّذِي يَمْتَرِي فِيهِ الْكَافِرُونَ بِمَفْرَدَةِ: ﴿لِقَاءِ﴾ مضافاً إلى اسم الرَّبِّ سبحانه في قوله: ﴿لِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ يدلُّ على إنكارهم فكرة البعث من أساسها، وامْتِرَائِهِمْ فِي حُصُولِ اللِّقَاءِ نَفْسِهِ، مَا يَعْنِي: إِنْكَارَ كُلِّ مَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ مِنْ حُشْرِ وَحْسَابٍ وَعِقَابٍ وَجَنَّةٍ وَنَارٍ وَنَعِيمٍ وَعَذَابٍ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا تَحْذَرُهُمْ مِنْهُ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ، وَيَحْذَرُهُمْ مِنْهُ أَيْضًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

دلالة تعريف ﴿لِقَاءِ﴾ بالإضافة:

اقتضت حكمة
الله أن يكون
البعث وما
يترتب عليه
وسيلة لتربية
خلقه وتقويمهم

جاءَ بما يَمْتَرِي فِيهِ الْكَافِرُونَ مضافاً إلى اسم الرَّبِّ سبحانه في قوله: ﴿لِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾؛ للإشارة إلى أَنَّ حِكْمَةَ اللَّهِ اقْتَضَتْ أَنْ يَجْعَلَ مِنَ الْبُعْثِ وَمَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ مِنْ حِسَابٍ وَجَزَاءٍ وَسِيلَةً لِتَرْبِيَةِ خَلْقِهِ بِصِفَةِ عَامَّةٍ، وَتَرْبِيَةِ الْكُفَّارِ وَإِعَادَتِهِمْ إِلَى طَرِيقِ الْجَادَّةِ وَالصَّوَابِ بِصِفَةِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22 / 25.

خاصّة؛ لإحاطته بتكوينهم وعلمه بما يصلحهم، ويقيمهم⁽¹⁾، وذلك من كمال إحسانه إليهم، وحرصه عليهم.

علة إثبات اسم الربوبية مضافاً إلى الضمير:

جاء باسم الربّ سبحانه مضافاً إلى ضمير الكافرين في قوله: ﴿رَبِّهِمْ﴾؛ للإيحاء إلى كمال إحسان الله تعالى إلى الكافرين بخلقهم ورزقهم للحساب والجزاء بالثواب والعقاب، كما هو شأن كلّ حكيم فيمن تحت أمره⁽²⁾، وللإشارة إلى أنّ كفرهم ببقائه وشكّهم فيه جحودٌ منهم لهذه النعم، وتنصّل من شكرها، وفيه أيضاً تعريضٌ بخبثهم وسوء طويّتهم.

بلادة التعريض في الجملة:

عبّر البيان الكريم بالشكّ عن جرّم الكافرين بعدم وقوع البعث؛ لأنّ جرّمهم خلّي عن الدليل الذي يقتضيه، فكان إطلاق الشكّ عليه تعريضاً بأنّ الأولى بهم أن يكونوا في شكّ على الأقل⁽³⁾، لا أن يكونوا جازمين بعدم الحصول.

وجه تكرار ﴿آلَا﴾:

أعاد النظم القرآني التّعبير بحرف الاستفتاح ﴿آلَا﴾ مع قرب العهد به وجواز الاكتفاء بالسابق، فقال: ﴿آلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾؛ للتنبيه والتأكيد على كمال قدرة الله على كلّ شيء، ويدخل فيه البعث وما يترتّب عليه دخولاً أولياً برهانياً⁽⁴⁾.

بلادة التوكيد في الجملة:

جاء قوله: ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ مؤكداً بياناً، والجملة الاسميّة، والباء، والتّعبير بما يفيد الاستعراق والشمول في: (كُلُّ شَيْءٍ)،

من كمال
إحسان الله
إلى الناس
خلقهم ورزقهم
لحساب
والجزاء بالثواب
والعقاب

الأولى بالكفار
أن يشكّوا في
حصول البعث،
لا أن يجزموا
بعدمه

الله تعالى
قادر على كلّ
شيء، بما في
ذلك البعث وما
يترتّب عليه

تأكيد إحاطة
الله وإطلاعه
على أحوال
المشرّكين
وأفعالهم

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17 / 229.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 17 / 229.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25 / 22.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 17 / 229.

وتقديم الجار والمجرور على الخبر؛ لتأكيد إحاطة الله بكل شيء، وتقوية اطلاعه على كل شيء من أقوال المشركين وأفعالهم، ما من شأنه أن يبيث الرعب في قلوبهم، ويردعهم عن التكذيب ببقائه.

نكتة التعبير بالضمير:

عبر النظم الكريم عن المولى سبحانه بالضمير، فقال: ﴿إِنَّهُ﴾، ولم يقل: (إِنَّ رَبَّهُمْ)؛ جرياً على الأصل في التعبير عن الاسم الظاهر الذي سبق ذكره بالضمير، ولما يفيد البيان به من استحضار المتحدث عنه وتعيينه تعييناً يحول دون صرف الحديث عنه إلى أحد غيره، والمعنى: "إنَّ رَبَّهُم المحسن إليهم بكل شيء محيط"⁽¹⁾.

معنى الباء:

الباء في قوله تعالى ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ حرف جر يفيد الإلصاق أو التعدية، وفي التعبير به تأكيد وتقوية لإحاطة الله تعالى بالأشياء كلها، وعدم استثناء أي شيء منها.

نكتة التعبير بلفظ (كُلُّ) مضافاً إلى ﴿شَيْءٍ﴾:

التعبير عن الاسم المجرور بـ (كُلُّ) دالٌّ على الاستغراق والشمول، وفي إضافته إلى ﴿شَيْءٍ﴾ تأكيد لإحاطته تعالى بجملة الأشياء وتفصيلها، كليّاتها وجزئياتها، أصولها وفروعها، غيباتها وشهادتها، ملكها وملكوته⁽²⁾، بحيث لا يخرج عن إحاطته سبحانه أي شيء منها، مهما كان دقيقاً أو صغيراً، ويدخل في ذلك مريتهم في لقائه من باب أولى⁽³⁾.

سرُّ التعبير بلفظ ﴿مُحِيطٌ﴾ مادة وصيغة:

في الإخبار عن الله بقوله: ﴿مُحِيطٌ﴾ دلالة على أنه عالم بجميع

الله تعالى يحيط
بجملة الأشياء
وتفاصيلها،
كلياتها
وجزئياتها

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17 / 229.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 17 / 229.

(3) الزمخشري، الكشاف: 4 / 207.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والخمسون،
سورة غَافِر من الآية 77 إلى سورة الشُّورى الآية 12
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والخمسون، سورة غَافِر من الآية 77 إلى سورة الشُّورى الآية 12
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغنامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.

مج. 52 ، 818 صفحة ؛ 24x17 سم.

ردمك : 3-48-641-9948-978

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 52 : المجلد الثاني والخمسون، سورة غَافِر من الآية 77 إلى سورة الشُّورى الآية 12.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 3-48-641-9948-978

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-0346315 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية : E

"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"